الفصل الخامس

مشاهير واعلام الفكر العربي

١- ابن خلدون :

هو عبد الرحمن بن محمد .. بن خلدون ولد في تونس سنة (٧٧٢هـ) ومن اسرة مرموقة ذات شأن كبير في العلم والفكر السياسي ، وتنتقل في اماكن عديدة منها اشبيلية وفاس وغرناطة ومصر . وكان ميالاً لطلب العلم وكان والده هو الذي يقوم بتعليمه لذا اشتغل ابن خلدون في مصر بالتدريس .

كان لابن خلدون اهتمامات متنوعة فقد تحدث عن النظم السياسية وانواع الحكم والخطط العامة كالقضاء والشرطة والادارة وتطورها في الدول الاسلامية ، ومن النظم الاقتصادية والتجارة والمكوس والضرائب وعن المهن والحرف والصنائع ووجوه الكسب والمعاش ثم عن الفنون والعلوم والاداب وقد تحدث عنه بعض المؤرخين الاجانب .

يقول (فون كريمر) عن علوم ابن خلدون : انها تمثل الاطار العام التي صدرت عنه عام ١٩٥٦م :- ان ابن خلدون عبقرية عربية اتيح لها .. ان تبدع مأثرة الحياة (يقصد مقدمة ابن خلدون) على قدر من البيان الرائع لا يقل ابداعاً كما قام به (ثيوديد) (ومكيا فيللي) (وكلارندن) عمقاً وسعة آفق فضلاً عن القدرة العقلية الخالصة بل ابن خلدون اكثر تالقاً ولمعاناً .

اما المستشرق الالماني (فون فيسنديك) يقول في مقالة نشرتها مجلة دويتش رونتشاو عام ١٩٢٣ عن ابن خلدون : (ان مؤرخ الحضارة المسلم العظيم لم يعقبه خلف ولم ينسج على منواله ناسج وإنا لنرى ما فكر فيه أودعا اليه هو ما يدور في اوربا في القرن التاسع عشر تماماً .

ان العمل الذي اشتهر به ابن خلدون هو ما عرف باسم (مقدمة ابن خلدون) وهي مقدمة كتابه الكبير في التاريخ والذي تفرغ لكتابته مدة (٨)سنوات .

امتازت هذه المقدمة بالتقدير العالي في الشرق والغرب لما جاءت به من فكرة اصيلة ورؤيا غير مسبوقة وهو انشأؤه علم الاجتماع ونظريته في فلسفة التاريخ التي تعد فيما يرى بعض الباحثين من اقدم النظريات في هذا المجال .. بالاضافة الى علم الاجتماع والتطور الاجتماعي لدى ابن خلدون نظريات مهمة في (الدين واللغة والسياسة والاقتصاد) اما في المجال التربوي فانه يتكلم عن اللغة وكيف تتغير بين مجتمع واخر ثم يذهب الى ان أهل الحضر اقل قدرة على تحصيل ملكة البيان من اهل المدن او اهل القرى وذلك لاختلاط الحضر بالاعاجم .

وفي علم الاجتماع التربوي يرى ان الشدة في التعليم خسارة والملخصات في التاليف خسارة ايضاً.

وفي مجال البحث العلمي : يرى ابن خلدون بان لا يقدح في العقل ووظيفته في دائرته المحدودة وهي دائرة المحسوسات اذ هو في هذه الدائرة ميزان صحيح واحكامه صحيحة لاكذب فيها ثم هو لاينكر المنطق الصوري ووظيفته في دائرته المحدودة ، ولكنه بنكران المنطق الصوري يكسبنا علماً جديداً بالعالم المحسوس الا اذا كان في مقدمات الاقيسة شواهد جديدة من الحس لان الاقيسه المنطقية من حيث صورتها تنتج نتائج صحيحة اذا استوفت شروط الانتاج .

ولكن هذه النتائج قد تطابق الواقع الملموس وقد لا تطابقة فالتجربة الحسنة التي تقع للباحثين في ميدان خاص من ميادين العلم الطبيعي هي اساس المعرفة الصحيحة في هذا الميدان ، واذا اجتمعت لديهم المعلومات على هذا النحو امكن تنسيقها وتمحيصها وتصحيحاً بأساليب المنطق الصوري الذي هو ميزان دقيق لتصحيح العلم وليس لكسب العلم فالتجربة هي الاساس في ميدان العلوم الطبيعية .

يتحدث ابن خلدون عن انواع العلوم ومنازلها وعن مكانة كل منها ، فيرى ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين .

- علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير للحديث والفقه والكلام والطبيعيات والالهيات من الفلسفة .
- علوم وسيلة آلية – لتلك العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات كالمنطق للفلسفة ، وربما كان آله لعلم الكلام ولاصول الفقه عن طريقة المتاخرين فاما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعه الكلام فيها – والعلوم التي آلة لغيرها فلا ينبغي ان ينظر فيها الامن حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع الكلام فيها .

ويعتبر ابن خلدون من الكتاب العرب القلائل الذين كتبوا عن التربية والتعليم وكان مذهبه في التربية مستمراً من فلسفة الواقعية باعتباره (العلم والتعليم) ظاهرة ضمن الظواهر الاجتماعية التي يمتاز بها الجنس البشري عن غيره من الكائنات الحية بفكرة الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابناء جنسه والاجتماع المهيء لذلك التعاون وقبول ما جاء به الانبياء عن الباري عز وجل والعمل به .

جعل التعليم مهنة يمكن استغلالها للارتزاق وهو بذلك خالف الفلاسفة اليونانيون اليونانيون امثال (افلاطون وارسطو) الذين اعتبروا طلب العلم لمجرد السمو بالعقل والجسد والروح – كما خالف ائمة المسلمين وعلى رأسهم الامام الغزالي عندما اعتبروا طلب العلم وتعليمه لمجرد التقرب من الله وسعادة الاخرة .

علماً وتعليماً ومرة محاكاة وتلقين بالمباشرة الا ان حصول الملكات على المباشرة والتلقين اشد ثباتاً واقوى رسوخاً .

٧- ان يبدأ المعلم بالتدريس بالجزئيات اولاً ثم الانتقال الى الكليات وسلك في ذلك الطريقة الاستقراطية ، بعرض الامثلة والشواهد الكافية ثم الانتقال الى التعاريف والقواعد لان اذا القيت على المتعلم الغايات في البدايات وهو لم يكن مستعداً وعاجزاً عن الفهم والوعي فان ذلك سيؤدي الى العجز الذهني لديه وحسب ذلك من صعوبة العلم نفسه فتكاسل وانحرف عن قبوله .

٨- اعتبر القرآن الكريم أصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل من ملكات واول ما ينبغي تعليمه للوالدان واهل الامصار الاسلامية ، لكنه انتقد البدء بتعلمه والاقتصار عليه لان الاطفال في هذه الحالة يقرأون مالا يفهون فلا تحصل لهم ملكة لغوية .

لقد انتقلت اراء ابن خلدون الى فرنسا عن طريق الاندلس لانه قضى فترة من الزمن فيها وظهرت في فرنسا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين لتؤلف اول اتجاه متطور في تدريس اللغات . مما يدل على ان العالم ابن خلدون سبق عصره بقرون وقدم اراء متطوره في فهم طبيعة وطرائق التعليم ... وقدم للحضارة الانسانية العطاء المثمر .

وعند المقارنة بين آراء ابن خلدون وآراء مجموعة من المتخصصين بتدريس اللغات الاجنبية امثال بشالزفريز واوديري رايت وجيلسون وغيرهم يتضح انهم يرددون آراء ابن خلدون واقواله .

ابن سينا (٣٧٠ – ٤٢٨هـ)

هو ابو علي الحسين بن عبد الله اشتهر بكنى والقاب عدة منها الشيخ الرئيس وابن سينا ولد في قرية قريبة من بخاري وهو عربي الثقافة واشتهر كفيلسوف وسياسي وطبيب وقد ساهم بشكل واضح في اغناء الحضارة العالمية بما قدمه من علوم متنوعة شملت الطب والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والموسيقى والادب والالهيات وعلم النفس والتربية .

امتاز ابن سينا بذاكرته القوية وقدرته الفائقة على التعلم وحفظ القرآن وكثير من الادب العربي ولم يكمل العاشرة من عمره وحفظ كتاب ما بعد الطبيعة الذي الفه (ارسطو) عن ظهر قلب دون ان يفهمه فلما اشترى كتاب الفارابي في اغراض ما بعد الطبيعة انفتح عليه .

ويعد ابن سينا من كبار ممثلي الفلسفة الارسطية عند المسلمين وينظر اليه الاوربيون هذه النظرة منذ العصور الوسطى حتى الان غير ان فلسفته الخاصة التي تتركز حول مسائل ثلاثة هي مسألة الفيض والنفس الانسانية ونظرية المعرفة الاشرافية وما تتضمنه من نظريات خاصة الى النبوة والمعجزات والتصوف .

أ- نظرية الفيض

لم يكن ابن سينا هو الذي ابتكرها وانما سبقه ابو نصر الفارابي وان ابن سينا هو الذي وضحها ودعمها والنظر اليه على انه هو الذي ابتدعها ، وهذه النظرية محاولة لتفسير صدور العالم وتعتمد على اساس من التوفيق بين عناصر ارسطو وافلاطون والاسلام وبها مسحة من التصوف .

ب-النفس الانسانية

استرشد ابن سينا بآراء الفارابي في النفس مع ادخال قدر كبير من التعديل والتفصيل عليها وهو يفوقه من جهة انه عرض لهذه الدراسة من الناحيتين الفلسفية والعلاجية ويعترف مؤرخو فلسفة العصور الوسطى في الغرب بان ابن سينا كان عمله في هذا النوع من الدراسات النفسية معالجة موضوع النفس كفيلسوف وكطبيب .

نظرية المعرفة الاشراقية

ان فلسفة ابن سينا الاشراقية خاصة بآرائه في النبوة والوحي والمعجزات والتصوف ويقدم التفسير الطبيعي للكرامات والمعجزات ... بالاضافة الى انه يجمع بين السحر والمعجزات والكرامات فيرجعها الى تاثير القوى النفسية للاجرام السماوية في نفوس السحرة والرسل والعارفين .

ولهذا تعلم ابن سينا الفلسفة وتفوق على استاذه اذ كان يتصور سائل المنطق بصورة افضل منه.

كما اشتهر ابن سينا بالطب وقيامه بمعالجة المرضى وهو في السادسة عشرة من العمر ومن الذين قام بعلاجهم وكتب له الشفاء على يده سلطان نجار الذي اعجب به .. وبعد ان عجز الكثير من الاطباء عن شفاءه ، وقد آذن له بدخول دار مكتبته الغنية بالكتب القيمة من اللغة والشعر والفقه وغيرها من العلوم الاخرى ، فاطلع واستفاد منها واضاف لمعلوماته اموراً جديدة .

ومن مؤلفاته في عدت مواضيع نذكر قسماً منها :

١- كتاب الشفاء – وهو اشبه بموسوعة فلسفية جمع فيها اصول العلوم الفلسفية المنسوبة الى القدماء ويحتوي هذا الكتاب على اربعة اقسام رئيسية هي المنطق والطبيعيات والرياضيات والالهيات .

٢- كتاب النجاة – وهو مختصر لكتاب الشفاء .

٣- كتاب عيون الحكمة – ويحتوي على دراسات المنطق والطبيعيات والالهيات.

٤- ومن رسائله – رسالة في الحدود – ورسالة في اقسام العلوم العقلية ، ورسالة في اجوبة مسائل سأل عنها ابو ريحان البيروني .

وعمل ابن سينا بالسياسة واشتهر بها وكلمة سياسة تعني عند الفلاسفة العرب (تلافي الخلل واصلاح الفاسد) وقد كتب رسالة في السياسة تحدث فيها عن التفاوت بين الناس في الصفات